ولك أن تجعل ضمير " أنه " عائدا على الإنسان وتجعل عمومه مخصوصا بالإنسان الكافر تخصيصا بالعقل لظهور أن الظلوم الجهول هو الكافر .

أو تجعل في ضمير (أنه) استخداما بأن يعود إلى الإنسان مرادا به الكافر وقد أطلق لفظ الإنسان في مواضع كثيرة من القرآن مرادا به الكافر كما في قوله تعالى (ويقول الإنسان أإذا ما مت لسوف أخرج حيا) الآية وقوله (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم) الآيات .

وفي ذكر فعل (كان) إشارة إلى أن ظلمه وجهله وصفان متأصلان فيه لأنهما الغالبان على أفراده الملازمان لها كثرة أو قلة .

فصيغتا المبالغة منظور فيهما إلى الكثرة والشدة في أكثر أفراد النوع الإنساني والحكم الذي يسلط على الأنواع والأجناس والقبائل يراعى فيه الغالب وخاصة في مقام التحذير والترهيب . وهذا الإجمال يبينه قوله عقبه (ليعذب ا المنافقين) إلى قوله (ويتوب ا على المؤمنين والمؤمنات) فقد جاء تفصيله بذكر فريقين : أحدهما : مضيع للأمانة والآخرة مراع لها .

ولذلك أثنى ا على الذين وفوا بالعهود والأمانات فقال في هذه السورة (وكان عهد ا مسئولا) وقال فيها (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا عليه) وقال (واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد) وقال في ضد ذلك (وما يضل به إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد ا من بعد ميثاقه) إلى قوله (أولئك هم الخاسرون) .

(ليعذب ا المنفقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب ا على المؤمنين والمؤمنات وكان ا غفورا رحيما [73]) متعلق بقوله (وحملها الإنسان) لأن المنافقين والمشركين والمؤمنين من أصناف الإنسان . وهذه اللام للتعليل المجازي المسماة لام العاقبة . وقد تقدم القول فيها غير مرة إحداها قوله تعالى (إنما نملي لهم ليزدادوا إثما) في آل عمران .

والشاهد الشائع فيها هو قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا) وعادة النحاة وعلماء البيان يقولون : إنها في معنى فاء التفريع : وإذ قد كان هذا عاقبة لحمل الإنسان الأمانة وكان فيما تعلق به لام التعليل إجمال تعين أن هذا يفيد بيانا لما أجمل في قوله (إنه كان ظلوما جهولا) كما قدمناه آنفا أي فكان الإنسان فريقين : فريقا ظالما جاهلا وفريقا راشد عالما .

والمعنى : فعذب ا المنافقين والمشركين على عدم الوفاء بالأمانة التي تحملوها في أصل الفطرة وبحسب الشريعة وتاب على المؤمنين فغفر من ذنوبهم لأنهم وفوا بالأمانة التي

تحملوها . وهذا مثل قوله فيما مر (ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم) أي كما تاب كلى المؤمنين بأن يندموا على ما فرط من نفاقهم فيخلصوا الإيمان فيتوب الله عليهم وقد تحقق ذلك في كثير منهم .

وإظهار اسم الجلالة في قوله (ويتوب الله) وكان الظاهر إضماره لزيادة العناية بتلك التوبة لما في الإظهار في مقام الإضمار من العناية .

وذكر المنافقات والمشركات والمؤمنات مع المنافقين والمشركين والمؤمنين في حين الاستغناء عن ذلك بصيغة الجمع التي شاع في كلام العرب شموله للنساء نحو قولهم : حل ببني فلان مرض يريدون وبنسائهم .

فذكر النساء في الآية إشارة إلى أن لهن شأنا كان في حوادث غزوة الخندق من إعانة لرجالهن على كيد المسلمين وبعكس ذلك حال نساء المسلمين .

وجملة (وكان الله غفورا رحيما) بشارة للمؤمنين والمؤمنات بأن الله عاملهم بالغفران وما تقتضيه صفة الرحمة .

بسم الله الرحمن الرحيم .

سورة سبأ .

هذا اسمها الذي اشتهرت به في كتب السنة وكتب التفسير وبين القراءة ولم أقف على تسميتها في عصر النبوة . ووجه تسميتها به أنها ذكرت فيها أهل سبأ